

سيميائية الظلal في ديوان المعيبد

ربما تقرأ غلاف كتاب، وترى فيه ما تبادر لذهنك، وقد تقول كما يقال: الكتاب يبيّن من عنوانه.

إذن العنوان أصبح واقعًا مظهراً من مظاهر التجلّي للنصوص.

وحيينما تشرفت بتكليف القائمين على خيمة المتنبي لي بتقديم ورقة نقدية حول ديوان الشاعر الجميل عبد الله المعيبد "توقيع شخصي للظلal" وجدت بأن الديوان ثريّ بما يمكن أن يقال عنه، ويستدعي التأمل والإبراز.

وحيث يمكن تناول أبعاد شتّى لكن لا يتسع المجال إلا لما تتسع له الفرصة هنا ، على أن الديوان مكمّن ومشهد للشاعرية الحقيقة.

ومن أجل تحرير عنوان الورقة التي كتبتها يجب أن يتم تحرير العنوان الموضوع للورقة وهو "سيميائية الظلal في ديوان المعيبد"

ولذلك نحرر كلمة سيميائية بما عرّف سعيد بنكراد بأنها "دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، ويقول بأنها في حقيقتها كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلّي المباشر للواقعة، كما يقول بأنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمُتواتري والمُمتنع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكونات المتن".

وهي - أي السيميائية - ضمن مجموعة من المواضيع التي أثارتها قراءتي للديوان وقد يتم التطرق لها لاحقًا .

وحيث كما هو معلوم أن العنوان من أوائل العقبات التي يجب أن يمر بها القارئ والباحث كذلك.

ولا أدل على أهمية العنوان من قول المتنبي :

ورب جواب عن كتاب بعثتَه وعنوانه للناظرين قتامُ

حيث كما هو معلوم أن العنوان "توقيع شخصي للطلال" وبنظرة فاحصة للعنوان في محاولة تأويلية له فإنه ممكن أن نقول بأن التوقيع هو الشعر، وكلمة شخصي تدل على شخص الشاعر وهو الأخ عبد الله، والطلال وهي انعكاسات للأشخاص داخل الديوان مع الأماكن والأمور القيمة كما أحسب. أي أننا سنقوم بالتجلية، والتجلية إظهار ما هو مراد من المحتوى المعنون للنصوص، وإبرازه في الدلالات والآثار التي تدل وتشير على العنوان.

وهذا بإرجاع الدلالة لاستقصاء كلمات الطلال والطل وطل وما شاكلها لفظاً بطريقة مباشرة، بل وكذلك معنى وإن اشتركت الدلالة في جزئية تَؤُول للعنوان بطريقة غير مباشرة.

حيث لن نستدل فقط بالمعنى اللفظي للكلمة واحتقاداتها وقربها من مادة الطل، بل وسنعتمد لمعاني المقتربة من الطل كالأثر والمدى والمصاحبة، والانعكاس وما إلى ذلك.

وفي القسم الأول سنستعرض الدلالات اللفظية المباشرة ، وهي أبرز العلامات ، ومن باب ضرب المثل هذا البيت :

إذا رمتُ المسيرَ وتأه خطوي
سأرسم بالنشيد طلال دربي

هديلي في المدى ضد المنا في وسرب حمائم الغرباء شعبي

كما نرى هنا للطلال انعكاسات المكان والوطن والاستئناس بآثاره، فللحظوات آثار المسير والدرب.

ولنأخذ مثلاً آخر:
وبعد ذلك لم يرجع لجنته
إلا غريباً يواسى شخصُهُ طلّـهـ°

وكذلك:

وصا يا الأرض أحفظها

وأعرف حكمة النخل

ولي ناي يرا فقني
الى منفأي كالطل

وستجد أيضاً هنا ذات الانعكاسات حيث المكان والوطن في مقابل الغربة والمنفى من خلال طلال الوطن.

و يقول :

أَمَّا مِنْ أَنَّا لَمْ نَرَ

يوجي لروحي بعضا من هوی هجري

فالظل هنا يعيد الحنين للوطن .

وكما ترون وتلاحظون فقد تكررت هذه الثيمة باستخدام مباشر لكلمة الطل، وهنا نسأل هل كان ذلك أيضاً بشكل واع أو لا واع؟

هنا في الأمثلة السابقة استحضار للوطن وما يدل على وطنه

وبعد ذلك لم يرجع لجنته

إلا غريباً يوسي شخصاً ظلاً

و هنا أكتفي بالقسم الصريح حتى لا يضيع الوقت في أمثلة واضحة الدلالة على المطلب إلى القسم الثاني وهو الكلمات ذات العلاقة سيميائيا بما ذكرنا لكن دون لفظ صريح كقوله :

سرى ولكن بطل الليل كيف سرى وهو الذى فل غيم الضوء فانهمرا

وهنا سرى والليل متلازمتان، والغيم والانهمار بالمطر وإن كان هنا الصوء في انزياح وإسقاط على أمر آخر.

هذه القصيدة ذات دلالة على أشخاص أو أشياء قيمة لدى الشاعر وهي هنا شخصية دينية .

على أن هناك أيضاً ما يشبه ذلك :

والنخل ميقاتي إلى حج الهوى
لم ينعقد بسوى الحسا إحرامي

أهرقت عطر الأمنيات مدثراً
هذا الوجود بنفحة الأنعام

فالحج والإحرام متلازمان كالطل والصوة، والحسا والنخل كذلك .

ويقول في بيت آخر:

كالعطر حين يشم يحضنني المني كالفجر حين يضيق يرقبني الغدُ

للحب رائحة الحياة فموعد
يمضي سريعاً حيث يشرق موعدُ

ومن هنا نلاحظ العلاقة بين الحب والحياة والعطر في الموعد كمراسم ، وال العلاقة بين الفجر والغد .

وهنا يقول:

لي أن أفكِر في الوجود حديقة خضراء من دون تجدد وشحوبـ

ويقول أيضاً :

أنا الصوفيّ ملء تأملاً تي
وترقد حكمة الروميّ قربـ

فالوجود والحدائق الخضراء من دون الشحوب هي أدل ما يدل على الحياة ونضارتها .

وتجدر بنا أن نرى هذه الكرنفالية المحتفية بالحياة في هذا الديوان البديع، فالتعليق والتآزر اللفظي والمعنوي ملحم جمالي.

ورؤى هذه الديوان أيضا الداعية والمقبلة للحياة متواجدة بكثرة في روح الطفل ، والحب وتنظيراته العميقـة ، والسلام الذي هو سر وغاية الوجود ، كل هذه المعالم حاضرة بقوة إن أردنا تناولها .

وستجد أن هذه اللغة المبسوطة لم تكن مهمةً بسطـها سهـلةً كما قد يبدو للعيان ، وذلك لأنها خطرة وحسـاسـة في ظـل الالتزام الرسـالي المـوجـود لدى الشـاعـر الذي لم يـؤـثر الدـخـول والـانـغـماـسـ في الحـبـ الـايـرـتوـكـيـ ، فهو يـمـشـيـ بـحـذـرـ وـسـطـ الـغـامـ منـ الـايـدـلـوـجـيـ ، تـجـاـوـزـهاـ بـرـشـاقـةـ ، وـكـذـلـكـ يـمـشـيـ مـجاـزاـ طـوـلـ نـصـوـمـهـ تـقـرـيـباـ منـ دـوـنـ التـعـثـرـ فيـ شـيـاـكـ وـأـشـواـكـ الـمـبـاـشـرـةـ وـالـتـلـقـيـنـ الـخـاصـعـ لـلـوـصـاـيـاـ .

وستجدهـ كـثـيرـاـ ماـ يـجـعـلـ الـحـبـ حـكـماـ فيـ القـضاـيـاـ الـتـيـ لـاـ يـنـتـصـرـ فـيـهاـ السـيفـ وـلـاـ الـكـلـمـةـ وـحـدهـماـ .

ونجملـ ماـ يـمـكـنـ القـوـلـ بـأـنـ هـذـاـ الـدـيـوـانـ حـصـيـلـةـ بـلـ زـبـدـةـ تـجـرـبـةـ قـارـبـتـ الـعـقـدـيـنـ تـقـرـيـباـ فـيـ كـتـابـةـ الـشـعـرـ .

[لـلـاسـتـمـاعـ اـضـغـطـ هـنـاـ](#)